الفلسفة في المنهج التعليمي
حديث مع ماثيو ليبمان
مؤسس: "الفلسفة من أجل الأطفال"

د.جميلة حنيفي(*)

رون برانت[**]: لماذا ترون بأن الفلسفة لا بد أن تكون جزءا من المنهج التعليمي المنتظم؟**

ماثيو ليبمان[***]: هناك وعي متنامي بأن الكثير مما تعلمه المدارس للشباب ليس مناسبا، خاصة في العالم الذي نعيش فيه. إن المعرفة التي تقدمها المدرسة يتم تجاوزها بشكل سريع، وإن أهم شيء يمكننا فعله للأطفال هو تعليمهم **التفكير الجيد**. وإذا كنا جادين في رغبتنا في تعليم التلاميذ التفكير فعلينا أن نقوم بذلك بطريقة مسؤولة. هذا يعني أن نوفر لهم **ممارسة الاستدلال** Reasoning من خلال نقاشات تتم في قاعات الدرس، وتتضمن المفاهيم التي تشترك فيها كل **المواد التعليمية** وليس تلك المتخصصة في موضوع بعينه. وفي اعتقادنا الفلسفة وحدها تمكننا من إنجاز ذلك فعليا.

رون برانت: ألأجل هذا أنشأتم الفلسفة للأطفال؟

ماثيو ليبمان: نعم، في بداية السبعينات عندما كانت أعمار أطفالي تتراوح بين العاشرة والحادية عشرة اكتشفت أن المدرسة التي كانوا يرتادونها لم تعلمهم الاستدلال الذي رأيت أنهم في حاجة إليه. كنت أدرس

---

[*]- د.جميلة حنيفي: أستاذة محاضرة، قسم الفلسفة، جامعة الجزائر2، الجزائر.

[**]- رون برانت Ron Brandt: كاتب ومربي أمريكي ورئيس تحرير سابق لمجلة Educational Leadership

[***]- ماثيو ليبمان Matthew Lipman (1922-2010) فيلسوف ومربي أمريكي ومؤسس معهد تطوير الفلسفة للأطفال في نيوجرزي بالولايات المتحدة الأمريكية سنة 1974 The Institute for Advancement of philosophy for children (IAPC).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنطق لمستوى الثانوي آنذاك وأحسست أنني لم أكن أنجز الكثير مع طلبتي لأن الوقت قد فات، فمن المفروض أن يكونوا قد تحصلوا على تعليم في الاستدلال في وقت مبكر بكثير. لذا قررت أن أقدم شيئا لمساعدة الأطفال في المستوى المتوسط على تعلم **الاستدلال**. أدركت أن **مبادئ المنطق** يجب أن تقدم بطريقة ممتعة. ولهذا ارتأيت أن أكتب رواية حيث يتم وصف الشخصيات وهي تكتشف هذه **المبادئ** وتفكر كيف يمكن أن تطبقها في حياتها.

رون برانت: والتي كانت بعنوان: "اكتشاف هاري ستوتلماير Harry Stottlemeier's Discovery"؟

ماثيو ليبمان: نعم. لم أكن أعلم مآل الرواية حتى حاولت مع مجموعة متكونة من خمسة تلاميذ الصف في المدينة حيث كنت أعيش. حصلت على إذن من المدرسة بتعليم **الرواية** لفترة تسعة أسابيع بمعدل مرتين في الأسبوع، تدوم كل حصة أربعين دقيقة. أجرينا امتحانا أوليا قبل الفحص وأخر بعده لكل من هؤلاء الأطفال ومجموعة المراقبة. تبدى أن الأمر يسير بطريقة ملفتة للنظر. حسنا، اكتسبت المجموعة التجريبية ما يعادل سبعة وعشرون شهرا من مهارات **الاستدلال المنطقي** في فترة الأسابيع التسعة بينما بقيت مجموعة المراقبة بلا تغيير يذكر. رغم ذلك تبين لي أن تلك المحاولة نجمت عنها نقائص مهمة. ومنها على سبيل المثال أنه كان بالإمكان أن يكون الفحص أكثر إنصافا بقليل لو قدم **الدرس** بدلا عني معلما آخر أكون قد أشرفت على تدريبه.

رون برانت: مع ذلك بيَنتم أن الأمر ممكن؟

ماثيو ليبمان: نعم. كنت أيضا فضوليا وددت أن أعرف هل يمكن لنتائج العملية أن تستمر وتنتشر؟ وهل بمقدور التلاميذ أن يطوروا **التفكير** الذي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يبرز في عملهم في المواد المدرسية الأخرى؟ لقد تأكدت أن النتائج دامت عامين لكنها لم تدم أربع سنوات وإذا لم تتم تقويتها فسوف تزول.

رون برانت: هذا صحيح بالنسبة إلى كل مقاربة تربوية تقريبا.

ماثيو ليبمان: أما عن الانتشار فقد حددنا عمليا أن كل فرع معرفي درَستُه كشف عن تقدَم معتبر باستثناء تهجئة نتائج اختبار إيوا Iowa test scores للطلاب (وهي غير منطقية على كل حال). لكن مرة أخرى تلاشت تلك النتائج بعد بضع سنوات.

رون برانت: إذن لقد لمستم الحاجة إلى برنامج يكون أكثر استمرارا؟

ماثيو ليبمان: نعم. ويعني ذلك نشر كتب وتحضير مواد من أجل **تدريب** المعلمين عليها. لقد أمضيت الأعوام الأربعة اللاحقة محاولا فهم: كيف أقوم بذلك، وأربعة عشر عاما الأخرى أقوم بذلك فعلا.

رون برانت: مذ ذاك والبرنامج مستعمل على نطاق واسع. كيف تم ذلك؟

ماثيو ليبمان: حسب تقديري يمكن أن يكون موجودا في حوالي خمسة آلاف مقاطعة مدرسية حيث يمكن تطبيقه في قاعة درس واحدة أو أكثر. كذلك يتم تعليمه في بلدان أخرى. أضف إلى ذلك لقد ترجم إلى حوالي خمس عشرة لغة مختلفة.

رون برانت: ذكرتم تطوير المحتوى بالنسبة إلى المعلمين فماذا تعلمتم حول تدريب المعلم؟ إن أغلب معلمي المستوى الابتدائي لم يدرسوا الفلسفة كثيرا.

ماثيو ليبمان: بدأت أنا و**آن مارغريت شارب*** **Ann Margaret Sharp** بدرس سداسي واحد. درسناه بمعدل ساعتين ونصف أسبوعيا مدة ثلاثة

***آن مارغريت شارب(1942-2010) فيلسوفة أمريكية اهتمت بفلسفة التربية، كانت مديرة معهد تطوير الفلسفة للأطفال وتعاونت كثيرا مع ماثيو ليبمان في كتابة العديد من البرامج لتعليم الفلسفة للأطفال إضافة إلى القصص الفلسفية القصيرة.**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عشر أسبوعا. كنا نعلَم المعلمين الذين بدورهم كانوا يعلَمون المحتوى نفسه لتلامذتهم. لكن عندما اختبرنا الأطفال لم نجد تقدَما معتبرا في **القراءة** أو **الاستدلال** فاستنتجنا أن المعلمين لم يتناولوا البرنامج مدة كافية. هذا ما جعلنا نضاعف مدة العرض في العام الموالي، فتحصلنا على نتائج مهمة تم تأكيدها بواسطة تجارب أخرى.

رون برانت: إذن أنتم تفضلون دوما عاما كاملا من الخدمة –وليس دواما كاملا بطبيعة الحال–

ماثيو ليبمان: لا. ساعتان ونصف أسبوعيا في العام الدراسي أو ما يعادلهما كافيتين. حاليا لدينا مجموعة متنوعة من الخيارات لتدريب المعلمين.

رون برانت: ماذا يجري في مجال درس الفلسفة للأطفال؟

ماثيو ليبمان: إن ورشات المعلم ودروس الأطفال متشابهة كثيرا، لأن كل ما يمكن أن يفعله المدرب مع المعلمين سوف يقوم به المعلمون بدورهم مع الأطفال بكل تأكيد. يحاول المدرب إنشاء جماعة بحث حيث يقرأ المعلمون **الرواية** ويناقشون **الأفكار** فيما بينهم بمساعدته ثم يلتحقون بقاعات الدرس وينجزون أساسا ما قام به المدرب. إنهم يجعلون **مناقشة الأفكار** التي وجدها الأطفال في الرواية سهلة. ومن حين لآخر يذهب المدرب إلى قاعة الدرس ويقود **النقاش الفلسفي** مع الأطفال كما يحاول تبيان معناه.

رون برانت: وماذا يعني ذلك؟

ماثيو ليبمان: يعني أن يناقش الطلبة **التجارب** التي أجراها كل الأطفال مثل أن يكونوا محرجين من عدم معرفة إجابة ما. يمكن أنهم أحبوا التحدث عن هذه التجارب لكن ليس بطريقة شخصية فمن خلال نقاش ما يحدث للشخصيات في الرواية يمكنهم أن يتحدثوا عن أشياء بضمير الغائب حيث يكون شخص آخر هو المعني. ويصبح الأطفال متعودين على السؤال عن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأسباب و**الآراء** و**الاستماع** باهتمام لبعضهم بعضا وكذلك الاستفادة من أفكار بعضهم بعضا. لقد شاهدت أطفال الصف الأول يرددون بهدوء "**السبب السبب**" حينما عبر أحدهم عن رأيه.

في حديث غير فلسفي نرد على السؤال بجواب لكن في **النقاش الفلسفي** غالبا ما نرد على السؤال بمحاولة تأكيد معناه مثل أن يُسأل الطفل عن الوقت فيجيب آخر بسؤال وما هو الوقت؟ إن **التربية** في أزمة لسبب واحد هو أن الأطفال لا يفهمون ما نحاول تعليمهم إياه ويفتقرون إلى إجراء يمكنهم من بلوغ هذا **الفهم** لذواتهم. إننا نعتقد أن **الفلسفة** توفر مثل هذا الإجراء من خلال الحصول على طلبة يفحصون هذه الأسئلة ويفكرون في الافتراضات **Assumptions**.

رون برانت: هل يحتاج كل المعلمين إلى تدريب خاص لتعليم الفلسفة؟ ألم يطبق بعضهم هذه الطريقة من قبل؟

ماثيو ليبمان: يحتاج بعض المعلمين إلى قليل من التدريب نسبيا أما البعض الأخر فيحتاج إلى قدر كبير. ويتطلب الأمر نوعا خاصا من المعلمين لتعليم الفلسفة. ينبغي أن يوحي المعلم بالثقة حيث يكون هناك انفتاح في قاعة الدرس. كما ينبغي أن يكون مفكرا متأملا، بمقدوره نقد الاستدلالات المنطقية لطلبته شرط أن يستشهد دوما بالمعيار الذي على أساسه تشكلت انتقاداته (ها) حتى يكون نقده مسؤولا.

رون برانت: هل تمتد تجربة تعليم الفلسفة إلى طريقة تدريس المعلمين لمضمون آخر؟

ماثيو ليبمان: غالبا ما يحدث ذلك. وعندما يحدث ذلك تكون النتائج مذهلة حيث يتماثل كل من المعلم والطلبة مع **المنهجية** وينخرطون في **تفكير عفوي** ومحفز طوال اليوم الدراسي، وحينها يتحقق الإنجاز الكبير.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذاك هو الأوج. لكن بطبيعة الحال يقصر بعض المعلمين استعمالهم للمقاربة السقراطية على الفلسفة فقط.

رون برانت: لقد جمعتم قدرا كبيرا من المعطيات خلال أعوام حول نتائج تعليم الفلسفة وبعضها كان جليا جدا. من دون هذه العملية يبدو أن التفكير المنطقي لدى الشباب لا يتغير كثيرا خلال أعوام.

ماثيو ليبمان: حسنا، كان الأمر يتحسن قليلا في كل عام إلى حوالي سن الثانية عشر بعدها يبلغ مستوى النتائج عموما حوالي ثلاثة أرباع من الفعالية الكاملة. من دون تدريب على **الاستدلال المنطقي**، لا يحصل أغلب أطفال المدارس الابتدائية والثانوية سوى على حوالي ثلاثة أو أربعة من المسائل المنطقية صحيحة. ولهذا يترتب علينا القيام بأفضل من ذلك فلا يمكنك أداء عمل في مستوى التعليم الثانوي إذا كنت تستدل في مستوى أدنى منه.

رون برانت: هذا يثير نقطة أخرى لدي انطباع أن بعض الناس يفكرون أن هذه العملية يمكن أن تناسب تحديدا الطلبة المؤهلين من دون غيرهم.

ماثيو ليبمان: إن الفلسفة تناسب جميع الطلبة ولا أعتقد أن الأطفال العاديين غير قادرين على **التفكير** في مواضيع معقدة فحتى الأطفال الذين يسيئون التصرف في المدرسة يمكن أن يجادلوا مع مسير فريق البيسبول الاحترافي حول إمكان إيقاف اللاعب أو إمكان إرسال أحد غيره لضرب الكرة. يمكنهم تحديد معدل **الضرب** *Batting average* ومعدل **الدفاع** *Fielding average*–وهما نوعان من المعايير يمكن لمسير الفريق استخدامهما لإصدار مثل هذه القرارات في لعبة البيسبول. يفعل الأطفال ذلك بطريقة جيدة عندما يتوفر الدافع الكاف والمحفز. عندما تشاهد بطء التعلم أو طلبة محرومين يفكرون ويفكرون، وعندما تشاهد الرتابة والإرهاق حينها تبدأ في **التفكير**: ألا أحد يهتم بجعل المدرسة مهمة لهؤلاء الطلبة. وألا أحد يساعدهم على **التعبير** عن آرائهم أو **الاستمتاع** بالتعلم؟ لكن إذا تحدثت معهم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

–كأن تسألهم عن الإنصاف أو الصداقة أو لما العالم على هذا النحو الذي هو عليه– تكتشف أنهم كانوا بُكما وعاجزين عن التعبير كل هذا الوقت لمجرد أنه لا أحد أخذ مشقة التحدث معهم.

في الواقع الطلبة المعروفين بأنهم موهوبين غالبا هم الذين يكونون غير مرتاحين مع الفلسفة لأنها لا تقدم أجوبة جاهزة يمكنهم ترديدها ولا يوجد فيها الإجماع الذي تعودوا عليه. لكن بالمقابل لديها المنطق الذي عموما يستمتعون به. ولسوء الحظ نفشل في تحضير الأطفال لغموض الحياة لأننا نركز على الأجوبة الصحيحة والقصيرة و**الاستدعاء الواقعي** *Factual recall*.

رون برانت: بعض المربين حذرون حيال نقاشات مثيرة للجدل لأنهم يعتقدون أنه ليس من مهمة المدرسة التأثير في أفكار الأطفال بهذه الطريقة لأنهم لا يريدون التورط في مشكلة مع الجماعة.

ماثيو ليبمان: هم محقون في أنه ليس من مهمة المربين غرس آرائهم الشخصية في عقول طلبتهم لأن ذلك سوف يكون **تلقينا** *Indoctrination* . هذا من جهة أما من جهة أخرى فهناك خطر أنه إذا لم ينجز شئ–إذا كان المعلمون دوما حياديين في كل شيء–فإن المدارس حقا تلقن **النسبوية** *Relativism* من دون الاعتراف بذلك. هذا ما يفعلونه. لا بد من تشجيع البحث العقلاني لدى الأطفال، ينبغي أن يبحثوا في القضايا الأخلاقية بوصفهم **جماعة** *Community* مُقدمة على تجريب مباشر لمجموع وجهات نظر المجتمع في هذه القضايا. وعندما ينتمي الأطفال إلى القسم الدراسي بوصفه جماعة بحث مفكرة ومهتمة فإنهم على الأرجح سوف يصبحون هم بذواتهم مفكرين ومهتمين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رون برانت: لكن بعض الأولياء يقولون إنهم لا يريدون لأطفالهم أن يفكروا في مثل هذه المسائل. إنهم يريدونهم أن يؤمنوا بما طلب منهم أن يؤمنوا به حتى يكبروا كفاية ثم يقررون بأنفسهم.

ماثيو ليبمان: يودَ بعض الأولياء أن يحتفظوا ببعض مناحي **التربية** للبيت والخلافات من هذا النوع لا يمكن تفاديها ولها ما يبررها. بالفعل توجد قضايا خطيرة للغاية. ولنعد إلى الخصومات التي حدثت عندما أُدرجت **التربية الإجبارية:** "لماذا نفعل ذلك؟ كيف يمكننا تبرير مطالبة الطلبة بالذهاب إلى المدرسة؟" إذا كنا نشعر أن التربية من أجل **المعقولية** *Reasonableness* نحتاج إليها من أجل الحفاظ على **الديمقراطية** وبأن بدائل الديمقراطية غير مقبولة. إذن لدينا مهمة المطالبة بأن يتربى جميع أطفالنا على المعقولية. وينبغي أن تتضمن **التربية التفكيرية** *Reflective Education* تعليم الأطفال القراءة والكتابة جيدا والتحدث والإنصات جيدا والتمرس على **الحكم الجيد** *Good Judgment* فمن دون هذه **المهارات** يكون الطلبة غير محضرين لمواجهة مسؤوليات المواطنة ومشاكل الحياة.

رون برانت: أنتم إذن تقولون: إن الفلسفة تلبي النداء إلى التفكير النقدي في التربية؟

ماثيو ليبمان: أعتقد أنها هي الإجابة لأنها توفر كل ما يمكن أن توفره مقاربات **التفكير النقدي** تلك وأكثر من ذلك بكثير. وبدلا من تدريس مهارات معزولة ومبتورة فإن الفلسفة تركز على ربط المهارات الواحدة مع الأخرى بطريقة منظمة بحيث يمكن لأحدهم عندما يفكر في موضوع في تخصص معرفي معين أن يقوم بذلك بطريقة منظمة وشاملة. إن امتلاك مهارات معرفية فردية يعد ذا قيمة ضئيلة إذا كان أحدهم ينقصه الحكم مثلا متى ينبغي تطبيق مثل تلك المهارات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن الغرض من الفلسفة هو **تطوير المفكرين** وذلك لا يمكن إتمامه بمجرد تدريس المهارات. أكثر من ذلك لا يتمثل هدفنا من الفلسفة للأطفال في مجرد شحذ قدرات الطلبة على **التحليل** الجاف بل في جعل حياة الفكر درامية بحيث ينمي هؤلاء الطلبة بوصفهم **جماعة** بحث استعدادات **نقدية** تمكنهم من **مناقشة** أفكار ذات اهتمام مشترك. وسوف يصبح الأطفال عقلانيين ومفكرين **مستقلين** من خلال مثل هذا **التفكير المشترك.**

النص الأصلي:

On Philosophy in the Curriculum:A Conversation with Matthew Lipman, in Educational Leardship, September 1988 by the Association for Supervision and Curriculum Development. In : www.ascd.org/ASCD/pdf/.../el_198809_brandt3.pdf

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com